

**المواقف الإنسانية والتاريخية للأمير عبد القادر طوشة دمشق 1860م أنموذجاً**

**The humanitarian and historical stances of Prince Abdelkader Tosha, Damascus 1860 AD as a model**

حمزة بوقادوم

جامعة أم البواقي (الجزائر)

bougadoum.hamza@univ-oeb.dz

عبد الفتاح سنوسي\*

جامعة أم البواقي (الجزائر)

senoussi.abdelfettah@univ-oeb.dz

المعلومات المقال	الملخص:
<p><b>تاريخ الارسال:</b> 2026/02/19</p> <p><b>تاريخ القبول:</b> 2026/05/26</p> <p><b>الكلمات المفتاحية:</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li>✓ الأمير عبد القادر</li> <li>✓ بلاد الشام</li> <li>✓ فتنة 1860</li> <li>✓ التعايش الإنساني</li> </ul>	<p>يعدّ الأمير عبد القادر الجزائري من أبرز الشخصيات التاريخية التي جسّدت القيم الإنسانية في أجلي معانيها، خاصة خلال إقامته ببلاد الشام، وقد برز دوره الإنساني والتاريخي بوضوح أثناء فتنة 1860م التي اندلعت في دمشق، وشهدت اعتداءات دامية استهدفت المسيحيين، أين برز بشجاعته النادرة، في ظل حالة الفوضى والافتتال الطائفي، وعلى هذا تحاول هذه الدراسة الكشف عن ذلك الموقف الشجاع الذي اتخذه الأمير، حينما بادر إلى حماية آلاف المسيحيين من القتل والنهب، وفتح أبواب بيته لإيواء المهتدين، وسخر نفوذه ومكانته لوقف الاعتداءات، ولم يكن موقفه النبيل هذا بدافع سياسي، بل انطلق من مرجعيته الدينية المبنية على حرمة الدم الإنساني، ووجوب التعايش بين الأديان، وقد خلصت الدراسة إلى أن هذه المواقف مثلت نموذجاً فريداً للتسامح الديني والتعايش الإنساني في سياق تاريخي مضطرب، ما جعل الأمير عبد القادر يحظى بتقدير عالمي، حين أسهم في ترسيخ قيم السلام والحوار بين الأديان والحضارات، متجاوزاً حدود الزعامة السياسية والعسكرية.</p>
Article info	Abstract:
<p><b>Received:</b> 19/02/2026</p> <p><b>Accepted:</b> 26/05/2026</p> <p><b>Key words:</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li>✓ Prince Abdul Qadir</li> <li>✓ the Levant</li> <li>✓ the 1860 uprising</li> <li>✓ human coexistence</li> </ul>	<p>Emir Abdelkader al-Jazairi was one of the most prominent historical figures who embodied human values, particularly during his stay in the Levant. His humanitarian role was clearly demonstrated during the 1860 events in Damascus, when he courageously protected thousands of Christians from violence and looting, sheltered the threatened in his home, and used his influence to stop the attacks. His actions were not politically motivated but were rooted in his religious principles that upheld the sanctity of human life and interfaith coexistence. These stances constituted a unique model of religious tolerance and human solidarity, earning him international recognition beyond political and military leadership.</p>

يعد الأمير عبد القادر من الشخصيات التي ارتقت إلى مصاف العظماء، وقامت بأدوار سياسية وعسكرية رائدة وخطيرة في البلاد الشامية، فقد تجمعت في شخصه سجايا حميدة وشمائل كريمة ومناقب عالية قلما توافرت في زعامة ومشیخة، فهو القائد والمجاهد والإنسان والأديب والسياسي والرجل الدبلوماسي المتسامح، كيف لا وقد تحول تفكيره من جهاد أعتى قوة استعمارية إلى مفكر تلقف نهجا سياسيا دينيا معتدلا، متبعا منحى كبار المتصوفة في التسامح والتآخي مع الآخر أصحاب الأديان متأثرا في ذلك بالشيخ الأكبر ابن عربي صاحب الفتوحات المكية ومذهبه الفلسفي الصوفي وهو ما تعكسه مواقفه المشرفة التي سجلتها صفحات التاريخ التي توقفت عند الأبعاد والقيم الإنسانية في فكر الأمير، والتي اتضحت بجلاء في الموقف البطولي من الأحداث التي شهدتها بلاد الشام عام 1860م، حيث تتمحور هذه الورقة العلمية حول اقتفاء أثر الجوانب الإنسانية وقيم التسامح في حياة الأمير ببلاد المشرق، فما تجليات القيم الإنسانية والتاريخية ومظاهر التسامح الديني وأبعادها لدى الأمير في فتنه 1860م بدمشق؟

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على نشاط الأمير الإنساني أثناء إقامته في بلاد الشام، والدور الحاسم وموقفه الإنساني والتاريخي وتأثيره البالغ وسعيه الدؤوب إلى تلافي الخلاف بين الدروز والموارنة، ووآد الفتنة التي حاقت بالإقليم الشامي صائفة 1860م، مستنديين في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي في سبيل رصد أحداث الفتنة ووقائعها وإبراز الموقف النبيل للأمير من خلال تحليل ومحاولة فهم مجريات تلك الأحداث وانعكاساتها.

### 1. الأمير عبد القادر من الأسر الفرنسي إلى بلاد الشام

أمضى الأمير عبد القادر زهاء خمس (05) سنوات أسيرا بفرنسا متحملا ومتجرعا مرارة نكث العهد من طرف الحكومة الفرنسية، وتحطيم رغبته في الانتقال إلى الإسكندرية أو عكا أحد أقاليم السلطان العثماني، وفي أعقاب استنثار نابليون الثالث (Napoléon III) بكل السلطات في فرنسا سنة 1852م، معلنا نفسه إمبراطورا، وإسكاته لصوت المعارضة آنذاك، أصبح بمقدوره فك سراح ابن محي الدين، وعلى هذا قام في 19 أكتوبر 1852م بزيارة للأخير في مقر إقامته بقصر أمبواز، وفي طريقه خط له رقعة ضمنها نبأ إعلان حريته، وأنه سيُحمل بمن معه إلى عاصمة السلطنة العثمانية، وأن الحكومة الفرنسية ستخصص له راتباً يليق بمقامه بعد استكمال الإجراءات اللازمة للسفر، معربا له عن حزنه العميق عما نزل به (بن عبد القادر، 1903، ص، ص 38 - 39)، وعند وصوله بشره نابليون الثالث برفع القيد عنه وأهداه سيفا، مخاطبا إياه بقوله: "لقد سلمت سيفك إلى فرنسا، ولكن فرنسا لا تريدك أن تخرج من بلادها بدون سيف، وها إنني أقدم لك هذا عوضا عن ذلك" وجعل له في كل عام خمسة آلاف ليرة فرنسية (أباضة، 1414هـ/ 1994م، ص 13)، ليستقل بعدها عبد القادر سفينة لابرادور في 21 من ديسمبر 1852م التي ستوصله إلى وجهته الأخيرة، بعدما توقفت في صقلية واسطنبول (تشرشل، 1974، ص 272)، التي وضع بها عصا التسيار، حيث قام بزيارة ضريح أبي أيوب

الأنصاري، ووقف في جامع آيا صوفيا، وتوجه إلى قصر السلطان عبد المجيد خان وحظي باستقباله، فقدم له الأمير قصيدة تعبيراً عن شكره وامتنانه وعرفانه بالجميل، ومدى اعتزازه بالدولة العلية، لما وجده فيها من مأوى وملجأ ومنها :

عبد المجيد حوى مجدا وعز علا\*\*\*وجل قدرا كما قد عم أفضالا

فالمسلمون بأرض الغرب شاخصة\*\*\*أبصارهم نحوه يرجون إقبالا

وقبيل مغادرة الأمير القصر السلطاني أبلغه الخليفة أنه رأى من الأنسب أن تكون إقامته في بورصة، مع منحه حرية اختيار أي مصر من أمصار الدولة العثمانية، فأجابه الأمير بعد أن أعرب عن بالغ تقديره قائلاً "أختار ما يختار لنا أمير المؤمنين" (سعيدوني، 2000، ص، ص 173 - 174) و (بن عبد القادر، 1903، ص 51)، وتشير الوثائق التاريخية إلى أن الباب العالي قد قرر منذ إطلاق سراح الأمير من أسره، أن يقيم في بورصة، وقد ورد في وثيقة عثمانية يعود تاريخها إلى 24 ديسمبر 1852م أن هذا القرار صدر والأمير لا يزال رهن الإقامة الجبرية (المحفوظات، 2010، ص، ص 366 - 367).

### 1.1. الأمير عبد القادر في بورصة

ركب الأمير عبد القادر البحر من استانبول متوجهاً إلى بورصة التي دخلها في 16 جانفي 1853م مرفوقاً بالنقيب بواسوني (Boissonnet) (J.Pichon, 1899, p. 144)، في الوقت الذي أصدر الباب العالي تعليمة إلى واليها أن يضع عربة خاصة تحت تصرف الأمير عبد القادر منذ لحظة نزوله (تشرشل، 1974، ص 274)، كما أمر باستقباله بمعية العلماء والوزراء والأعيان بكل مظاهر التجلة والتوقير والاحترام، وبعد مرور بضعة أيام جاءه خليل باشا بأمر السلطان المعظم يخبره بأن مراد الدولة العلية أن تخصص له معاشاً يكفيه مع الاتساع هو ومن يلوذ به، فسر لذلك، ووجه لخليفة المسلمين ما يليق من أطيب الدعوات، بيد أنه اعتذر له وأعلمه أن إمبراطور فرنسا قد رتب له ولمن يرافقه ما يكفيهم ويغنيهم، مؤكداً له أن ما أسداه إليه من كفالاته عند فرنسا هي المنة التي لا تقابلها منة، حيث أنه لولاها لما تمكن من مغادرة بلاد فرنسا (البيطار، 1382هـ - 1963، ص 896)، وعلى إثر ذلك قضى الأمير سنوات إقامته في بورصة حيث غمره واليها خليل باشا برعاية فائقة في راحة ورغد عيش، حيث اشترى مزرعة في منطقة "جتلك"، احتوت أشجاراً متنوعة، كما أقام الأمير في مزرعته قصراً فخماً استقدم له من الآستانة مهندسا ليبتنيه له على طراز قصورها (بن عبد القادر، 1903، ص 62)، أما عن حياته اليومية في بورصة فيذكر نجله في "تحفته" أنه كان يؤدي الصلوات الخمس في الجامع القريب من منزله المعروف بجامع العرب، الذي يلقي فيه دروس العلم الشرعي، حيث كان يقرأ "ألفية ابن مالك" بشرح المكودي والسنوسية بشرح المصنف والإيساغوجي للفناري"، و يقرأ في بيته لذويه الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ، وفي تلك الفترة اندلعت حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا، فنظم الأمير قصيدة تحمل طابع الاستغاثة والمديح للسلطان عبد المجيد خان، يقول في مطلعها:

يا رب يا رب يا رب الأنام ومن \*\*\*إليه مفزعنا سرا وإعلانا  
يا رب أيد بروح القدس ملجاناً\*\*\* عبد المجيد ولا تبقيه حيراناً (بن عبد القادر، 1903، ص

(54)

ومما هو جدير بالإشارة أن الأمير طيلة إقامته في بورصة لم يتخل عن فروسيته، حيث كان يقضي بعض أوقاته في التنزه على صهوة جواده، وقد أحب حماماتها التي تعتبر أقدم الحمامات في المنطقة، وكان يفضل منها تلك الموجودة في أسكيا بليكا والمنتزه المظلل لحمام نبيكا بليكا، واعتاد قضاء ساعات طويلة كل يوم جمعة يتجول بين هذه المقصورات ذات الفسيفساء من المرمر الوردي والجدران المكسوة بالقيشاني الأخضر المزرق (إيتيين، 1997، ص 285)، وكان كثير البذل والعطاء خيراً مساعدا للفقراء والمساكين دون تمييز (J.Pichon, 1899, p 144)، وقد قام في عام 1854م بجولة إلى ديار بكر بحثاً عن ثلاث جياذ أراد إهداءها لنابليون الثالث إمبراطور فرنسا (إيتيين، 1997، ص 286)، وعلى الرغم من أن ابن محي الدين كان يعيش حياة طبيعية في بورصة، إلا أن بعض المصادر الغربية أسهبت في الزعم بأن الأمير كان يواجه موقف عدائي بين الموظفين والوجهاء العثمانيين، فصورت هؤلاء بصورة الذي يُخشى على نفوذه من شخصية الأمير، وعلى هذا كان هؤلاء يحاولون أن يروجوا لفكرة مفادها أن الأمير كان مجرد "درويش متواضع في مدينتهم" (إيتيين، 1997، ص 275).

وفي سنة 1855م ضرب زلزال عنيف مدينة بورصة وأدى إلى خراب جزء كبير منها، فاستغل الأمير فرصة سفره إلى فرنسا ومقابلته الإمبراطور بمناسبة النصر الذي حققه الحلفاء (فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية) على روسيا في حرب القرم ودخولهم سيباستبول، وحصل منه على الموافقة الفرنسية بأن تكون إقامته في المستقبل بدمشق (إيتيين، 1997، ص 276)، وعندما غادر الأمير مدينة بورصة متوجهاً إلى سوريا، كان برفقته حوالي 110 أشخاص من بينهم 27 شخصاً من أفراد عائلته، وفي نفس الوقت كانت مجموعة أخرى تتألف من حوالي 100 شخص، قد شددت الرحيل إلى دمشق من بورصة عبر البر (AZAN(P), 1925, p. 269)

## 2.1. في بيروت أولى خطوات الأمير نحو بلاد الشام

وصل الأمير عبد القادر إلى بيروت في 24 نوفمبر 1856م، وبعد الإقامة لمدة قصيرة واصل رحلته إلى دمشق، وفي الوقت الذي كان متأهباً فيه لصعود جبل لبنان سمع صوت الرصاص كما لو كان وقع معركة تجري قريباً منه، ثم لاحظ أعالي الجبل ومنحدراته مغطاة بعدد كبير من الرجال الذين يقبضون على حزمة البنادق، ثم شاهد مجموعة من الفرسان متراسة في زي الفخامة متقدمة لمقابلته، وكان هؤلاء من طائفة الدروز الذين تجمعوا للترحيب به (تشرشل، 1974، ص 276)، فسارعت بيروت وساكنتها لاستقباله يتقدمها واليها نامق باشا، واحتفوا به احتفاء كبيراً بحضور أمراء آل أرسلان حكام الطائفة الدرزية في جبل لبنان (الزعيبي،

2016، ص 24)، وعندما اقترب حكام الدروز منه ترحلوا فرد الأمير عليهم التحية، وقد انحنوا أمامه حسب الأعراف الشرقية وقبلوا يده، ثم طلبوا إليه أن يشرفهم بالاستراحة بينهم ولو ليلة واحدة، فلبى دعوتهم ووجد مرة أخرى وطنا شرقيا كريما، وانشرح صدره للمناسبة فهو مرة أخرى بين إخوانه العرب، وكان للأمير مع هؤلاء المحاربين الجبليين مسامرة حيث سألوه عن حملاته ضد الفرنسيين وقالوا له : "إذا كانت شهرتك قد رفعت معنوياتنا منذ وقت طويل وأثارت إعجابنا، وإذا كانت صدورنا قد أثلجت بالسماع عنك منذ وقت، فكم نحن سعداء أن نراك" وعندما هم بالرحيل عن جبل لبنان رافقه الدروز إلى حدود منطقتهم، وعند وداعه لهم شكرهم الأمير عبد القادر على أدبهم نحوه واحترامهم له قائلا : "هدانا الله أن نضل متحدين" فرد عليه الدروز : "حقق الله ذلك وجعلنا نجتمع مرة أخرى قريبا" (تشرشل، 1974، ص 277).

### 3.1. الأمير عبد القادر في دمشق

حظي الأمير عبد القادر عند وصوله إلى دمشق باستقبال واليها محمد نديم باشا إلى جانب حشود من الأهالي، الذين كانوا قد علموا مسبقا بقدومه فتهايأوا لتحيته والترحيب به، وأشاعت الجالية الجزائرية في دمشق خصال الأمير الحميدة، بوصفه رجلا شريفا ومجاهدا ومنافحا عن الهوية العربية الإسلامية للجزائر، وقد كان لدخول الأمير عبد القادر إلى دمشق أهمية كبرى بحيث لم يدخل دمشق عربي على هذا النحو منذ الناصر صلاح الدين الأيوبي (تشرشل، 1974، ص، ص 276 - 277)، ويقول الأمير أن أهل البلد فرحوا بقدومه، وتطلعوا للقائه جميعا رجلا ونساء، وأضاف أن الدمشقيين استقبلوه أفضل استقبال، وجعلوا يوم وفادته على مدينتهم عيد، واستنادا على توجيهات الدولة العلية قام والي دمشق بتخصيص دار لإقامة الأمير فاستقر فيها، وتشير رواية الأمير أن والي دمشق حاول تأمين مسكن له ولعائلته، فاستأجر له منزلين متجاورين في زقاق النقيب، بيد أن الأمير رأى أنهما بحاجة إلى الإصلاح والزيادة، ولم يكن قادرا على القيام بذلك إلا إذا امتلكهما، فبذل مجهودا لدى الباب العالي للحصول على حق ملكية الدارين (بن عبد القادر، 1903، ص 108)، وقد أكد ابنه محمد أن والده قام بشراء الدارين وأصلحهما ثم انتقل للعيش فيهما (بن عبد القادر، 1903، ص 135)، ومما يجدر ذكره أن الأمير عبد القادر الذي سبقته سمعته إلى المشرق كان محل احترام وتقدير من معاصريه، فالتف حوله أهل البلاد ونهلوا بين يديه كل في مجال تخصصه، فبعضهم اغترف العلم، وبعضهم تلقى الحكمة، وآخرون استمدوا النصائح المتعلقة بشؤون السياسة، وعلى هذا أصبح مركز إشعاع ونقطة النقاء السياسي والمفكرين والعلماء بالإضافة إلى الفقراء والمعوزين خاصة في دمشق، لذلك يمكن اعتبار هذه الفترة مرحلة تحول أساسي وتبدل جوهر في حياته، فقد أغمد سيفه وجرده قلمه، مغلبا بذلك الجوانب الفكرية والثقافية والعلمية على الجوانب البطولية والقتالية والعسكرية، فعدت من أغنى مراحل حياته قراءة ومطالعة وتأملا صوفيا، حيث استمر الأمير في دمشق نحو سبعة وعشرين (27) سنة - من عام 1856م حتى سنة وفاته 1883م - مكرسا وقته للقراءة والمطالعة والكتابة والتأليف والتأمل فضلا عن الرحلات، وتقديم الدروس لطلبته وإلقائه للمحاضرات، فذاعت شهرته وتعززت مكانته العلمية والثقافية (Bessaieh, 2003, p. 86)،

ومن مآثره في هذا المجال استخلافه لقسم من دار الحديث تحول إلى ملكية نصراني يسمى بانكو (Banco)، فاشتره منه بماله وحبسه على العالم يوسف بدر الدين الذي استتجد به لهذا الغرض سنة 1856م، ثم رمم مرافق دار الحديث كلها وهياها لإقامة شعائر العبادة وتنظيم الدروس (سعيدوني، 2000، ص 175)، وقد أصدر محمد بن عبد الله الخالدي أمره بتدريس الفقه المالكي في هذه الدار، كما فعل مع غيره من العلماء الجزائريين، وتولى بنفسه إلقاء درس يومي فيها، في حين كان الدرس الرابع يلقي في منزله ما بين العشائين (الخالدي، 2016، ص 94)، وساهم استقرار الأمير عبد القادر في دمشق في دفع العديد من العائلات الجزائرية إلى الهجرة نحو بلاد الشام، ومن جانبها بادرت السلطات العثمانية إلى تشجيع هؤلاء المهاجرين على القدوم، من خلال منحهم أراض زراعية وإعفائهم مؤقتاً من الضرائب وأداء الخدمة العسكرية، وذلك لفترات محددة، والترخيص لهم في الاستقرار بأي مكان يختارونه معتبرة إياهم رعايا لها (طرشون، 1985، ص 26).

وفي هذا السياق اضطلع الأمير عبد القادر بدور بارز في توطين المهاجرين الجزائريين ببلاد الشام، إذ استفاد من المكانة والامتيازات التي حظي بها لدى السلطات العثمانية هناك، فتوسط لهم في معالجة قضاياهم القانونية والسياسية، كما قام عقب استقراره في دمشق بجولات ميدانية في مختلف أنحاء بلاد الشام شملت عدداً من المناطق كعجلون وصفد والقدس والبقاع وحمص وحماء بهدف الوقوف على الأماكن المقترحة لتوطين الجزائريين، وضمان قبولهم من قبل زعماء البدو ورؤساء القبائل في تلك الجهات (هلال، 1995، ص، ص 90 - 91).

### 2. الفتنة الطائفية ودور الأمير عبد القادر في وأدها

#### 1.2. جذور الفتنة الطائفية

خلال فترة حكم "محمد علي باشا" لبلاد الشام في الأربعينيات من القرن التاسع عشر بادر "ابنه إبراهيم باشا" إلى استحداث أسلوب إداري مبني على مبدأ المساواة بين الطوائف في المعاملات، والحزم في اتخاذ القرارات وتطبيق القوانين، وتقليد الغرب في كل ما هو جوهري، الأمر الذي أدخل بذلك التوازن المتوارث وألحق الضرر بالامتيازات والمكاسب الاقتصادية والاجتماعية التي حققتها بعض الفئات على حساب فئات أخرى (علي، 1983، ص 73)، وقد أسهمت هذه المعطيات في تهيئة الظروف لتعاون بعض الطوائف المحلية مع الدول الأوروبية بصورة مباشرة والحصول منها على الدعم المالي والعسكري دون مراعاة لمصالح الدولة العلية وسيادتها، فأقام الإنجليز صلات وثيقة مع طائفة الدروز، في حين انحازت فرنسا إلى جانب الطائفة المارونية وقدمت لها الدعم وشجعتها على التصدي لكل من يمس بمصالحها، وهو ما هيا الظروف لاندلاع الاضطرابات في أعقاب انسحاب الإدارة المصرية من بلاد الشام (سعيدوني، 2000، ص 81)، وبذلك غدا التدخل الأجنبي وشيكا تحت ذريعة دعم هذا الطرف على حساب الآخر، وهو ما يمثل في جوهره إلحاقاً للضرر بالطرفين معا الموارنة والدروز.

## 2.2. الأسباب الداخلية والخارجية لفتنة 1860م

يمكن إرجاع الأسباب الداخلية والخارجية التي أشعلت فتيل هذه الفتنة إلى ما يلي:

- الدور الذي اضطلع به الاستعمار الفرنسي والبريطاني في إذكاء جذوة هذه الفتنة، منذ أن منحت هذه القوى حق حماية الاقليات المسيحية في الشام إبان الحكم العثماني، إذ سعى الإنجليز إلى توسيع نفوذهم في جبل الدروز، في حين وضعت فرنسا الموارد تحت رعايتها، بينما تولت روسيا حماية المسيحيين الأرثوذكس، وشرعت هذه الدول في تسليح الطوائف المرتبطة بها وتحريضها على العصيان والتمرد ما أسهم في تأجيج الصراع وإذكاء نار الفتنة الطائفية (دردار، دون تاريخ، ص 108).

- تشير سياسة الدولة العثمانية والسياسات المتبعة من قبل هذه الدول تجاهها، إلى أن الأزمات والنوازل التي عاشتها الدولة العلية وأسهمت في انهيارها كانت في جوهرها نتاجا للأطماع الاستعمارية، ورغبة ملحة لدى بعض الدول الأوروبية في إضعافها وتقويضها، وقد تجلّى هذا الصراع بوضوح خلال حرب القرم 1853م حينما قام بعض سكان القرم المسيحيين بأعمال عنف ضد المسلمين هناك، ودعمت روسيا شعب الجزيرة في سعيه لفك الارتباط والتبعية العثمانية، وهو ما أدى إلى تعزيز الوعي السياسي لدى مسيحيي الدولة العثمانية ودفعهم إلى المطالبة بالتححرر والحصول على استقلال ذاتي، كما حصل في اليونان، وكانت هذه الحرب من أكبر الكوارث التي عرفتتها الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر، وهو ما أسفر عن تراجع قدرتها في مواجهة الضغوط الخارجية لمجموعة الدول الأوروبية التي كانت تتحين الفرص للانقضاض على ممتلكات الرجل المريض (ابكاربوس، 1987، ص 45).

- يرى أحمد طربين أن أحداث جبل لبنان التي وقعت بين الموارد والدروز كانت من بين العوامل التي ساعدت على انتشار الفتنة ووصولها إلى دمشق، ويرجع ذلك إلى الدسائس الفرنسية والمدرسة الإكليريكية للانفراد بحكم الجبل واستغلال خيرات وأراضيه، فركزت فرنسا اهتمامها على إثارة القلاقل والاضطرابات في جبل لبنان كوسيلة تتيح لها خلق ذريعة لإرسال حملة عسكرية بحجة حماية الطائفة المسيحية، وبضيف أن عملاء فرنسا لم يقتصروا على تحريض الكاثوليك للوثوب على الطائفة الدرزية، بل امتد ليشمل تحريك ودفع بعض أنصارهم من اليزيكيين من آل العماد، إحدى العائلات الإقطاعية السياسية العريقة في جبل لبنان، نحو العدوان لتحديث فتنة في الجبل تبرر التدخل الفرنسي، وبذلك تستطيع فرنسا توسيع نفوذها وتحقيق أهدافها ومراميها الاستراتيجية في المنطقة (طربين، 1966، ص 123).

- الفرمان السلطاني "خط شريف الهمايوني" الصادر عن السلطان عبد المجيد الأول الذي أثار حفيظة المسلمين، قبل افتتاح مؤتمر باريس للسلام - الذي أنهى حرب القرم (30 مارس 1856م) - بأسبوع واحد، ورسم فيه السلطان المساواة التامة بين رعايا الدولة المسلمين وغير المسلمين، وتأجج الشعور العثماني الإسلامي غضبا من هذه المساواة، وهذه حقيقة لا غبار عليها، جعلت المسلمين في الدولة بصفة عامة وفي لبنان بصفة خاصة يتحفزون للانقضاض على الموارد، ويرجع أحد المؤرخين هذا الغضب إلى طبيعة الأتراك

العثمانيين في استعلائهم على الأجناس والأديان والشعوب الأخرى، وإلى اعتقادهم الراسخ في أفضليتهم على غيرهم، والواقع أنهم ألفوا أن يكونوا طبقة حاكمة يخضع لهم الآخريين، ولم يقدر الأتراك العثمانيون على تطوير عقليتهم بتوالي العصور، فكان من الصعب عليهم أن يقبلوا بمحض إرادتهم مساواة الطوائف المسيحية معهم، ويمكن الإقرار أنه من عيوب الدولة العثمانية أنها لم تتمكن بل فشلت في جعل المسلمين والمسيحيين الخاضعين لها شعباً واحداً (الشناوي، 2004، ص، ص 287 - 288).

- التراخي العثماني في احتواء فتنة جبل لبنان بين الدروز والموارنة عند وقوعها، والتباطؤ في مواجهة تلك المذابح، وسحقها قبل استفحالها وامتدادها من لبنان إلى دمشق، حيث وقفت سلطات الآستانة موقف المتفرج، وتركت الأطراف المتصارعة توغل في القتل والذبح والتدمير، وعندما اشتدت رائحة التدخل الأوروبي في الأزمة، التي تمثل قضية ومسألة داخلية، بدأت تتخذ خطوات علاجية بعد أن بلغ الموقف نزوة الخطورة (الشناوي، 2004، ص، ص 279 - 280).

- عجز الأرسطراطية المارونية عن قمع ثورة الفلاحين (1858-1860م) بمنطقة كسروان في جبل لبنان، وشعور الأرسطراطية الدرزية بالقلق من توسع رقعة عدواها، وتراجع نفوذ رجال الدين وتأثيرهم على مجريات ثورة كسروان، وقد أفضى هذا الخوف والضعف إلى اقتناع هؤلاء الأرسطراطيين أن حقوقهم الإقطاعية وامتيازاتهم التقليدية في طريقها إلى الزوال، فاخترتوا اللجوء إلى آخر الوسائل المتاحة لضمان حماية مصالحهم، من خلال إذكاء نار الفتنة بين صفوف الفلاحين (طربين، 1966، ص 120).

### 3.2. وقائعها

حري بنا قبل الحديث عن وقائع طوشة دمشق 1860م، أن نرجع قليلاً إلى الوراء، ونحاول تلمس أحداث الشرارات الأولى التي عمت جبل لبنان، حيث بدأ الانفجار الثوري أول الأمر بين الدروز والموارنة في 17 ماي 1860م، أين هاجمت جماعات من الموارنة قرية يسكنها الدروز، ومارست القتل في سكانها، ويقول فريق من المؤرخين أن الدروز هم أصحاب المبادرة وأنهم هم الذين بدأوا عمليات القتل، وقد تحول ذلك الاقتتال من مذابح بين طائفتين إلى مذابح شاملة بين المسلمين والمسيحيين الكاثوليك، وبلغ عدد الأهالي الذين اشتركوا في هذه المذابح عشرين ألفاً، وأودت بحياة الكثيرين الذين تضاربت الروايات في ذكر أعدادهم، كما أحرق عدد من القرى كان من بينها دير القمر وزحله وبيت مري، وامتدت المذابح إلى طرابلس الشام وصيدا واللاذقية، وخرّب عدد من المساجد والكنائس والأديرة والمدارس والمؤسسات الخيرية المسيحية، ويذكر أن الوالي العثماني في بيروت قد أعرب عن ألمه العميق لوقوع تلك المذابح، وتمكن بفضل نفوذه الشخصي من جمع زعماء الموارنة والدروز، وأن يوقعوا في 06 جويلية 1860م اتفاقاً بوقف المذابح، ولكن هذا الاتفاق لم يحظ بنتيجة عملية لأن الجموع الحاشدة من الطرفين المتنازعين استمرت في عمليات القتل بصراوة بالغة، وهام الأهالي في الجبل على وجوههم، وأصابتهم حالة شديدة من الذعر، واضطر عدد كبير منهم إلى مغادرة لبنان باتجاه

الإسكندرية (الشناوي، 2004، ص 290) وجزيرة قبرص وبلاد اليونان واسطنبول وغيرها (علي، 1983، ص 93).

أثارت أعمال القتل هذه مشاعر الأغلبية الإسلامية في دمشق، حيث اندلعت بدمشق في 09 جويلية 1860م أعمال عنف طائفية بين المسلمين والمسيحيين والدروز واليهود، كامتداد للأحداث الطائفية التي شهدتها جبل لبنان (مزهري، دون تاريخ، ص...ص 618...620)، ويقدم محمد بن الأمير وصفا لتلك الأحداث مشيرا إلى تصاعد الفوضى بعد تصرفات صبيان المسلمين الذين كانوا يصورون الصليب في الطرقات ويرسمونه على الأوراق ويرمونها في المحلات القذرة، وهو ما مثل أحد مؤشرات بواعث الفتنة، ويشير إلى مساعي السلطة القائمة لوأد الفتنة، التي استمر أوارها في التزايد حتى وصل الأمر إلى اعتقال صبي من قبل شرطي يوم 10 جويلية 1860م بسبب لعبه بصورة الصليب، ما أدى إلى تدخل أخيه الذي أثار شغب واسع في السوق، فتوافدت الجموع من كل الجهات إلى محلة النصارى، وانخرطت في أعمال النهب والقتل وحرقت المنازل دون تقدير للعواقب (بن عبد القادر، 1903، ص، ص 92 - 93)، وهو ما يعكس شدة التوتر الطائفي في المدينة، حيث استمرت أعمال القتل والنهب والخراب في دمشق عشرة أيام، ويبدو أن كلمة المسلمين فيها كانت راجحة، وبلغ عدد القتلى 5500، وكان من بين ضحايا مذابح دمشق قنصل أمريكا أوغسطس جونسون (Augustus Johnson) وقنصل هولندا أس أي كوتسي (S.A.Cutsi)، مما أدى إلى تصعيد الموقف تصعيدا خطيرا (الشناوي، 2004، ص 290).

#### 4.2. الدور الحاسم للأمير عبد القادر في إخمادها

لم تكد الأنباء تتوارد عن قرب وقوع هذه الفتنة، حتى تدخل الأمير عبد القادر وجمع العلماء والوجهاء والأعيان من أهالي دمشق وخاطبهم محذرا من الانجرار وراء الفتنة، مؤكدا على قدسية الدين الإسلامي ومكانته السامية، مشيرا أن الأديان، وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن يكون خنجر جهالة، أو معول طيش، أو صرخات نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم... في إشارة واضحة إلى رفض الدين ذريعة للعنف والفوضى، وتحذير المجتمع من الانسياق وراء التصرفات الطائشة التي تهدد النسيج المجتمعي (السيد، 2007، ص 71)، لقد كان تصرف الأمير يليق بقائد عربي مسلم مفعم بروح المسؤولية، فأرسل إلى الدروز وهم الطرف الأقوى في هذا الصراع الطائفي، رسالة تحذيرية مؤرخة شهرين قبل وصول الفتنة إلى دمشق جاء فيها: "أرجو أن تكونوا جميعا في سعادة ورفاه، لا شك بأنكم تعلمون مودتنا وصدافتنا لكم، ونوايانا الطيبة نحو جميع عباد الله، أصغوا إلى ما أقول واقبلوا نصائحي، إن الحكومة العثمانية والناس جميعا يعرفون العداء القائم بينكم وبين المسيحيين في جبل لبنان...أنتم تعلمون مقدار حرصنا على خيركم وسعادتكم، وعلى سلامة المواطنين جميعا، إن من شأن الحكماء التبصر في الأمور وعواقبها وذيولها قبل الإقدام عليها" (الخالدي، 2016، ص 97)، كان الأمير عبد القادر من أشد المعارضين لمثل تلك الأعمال التخريبية والوحشية في حق النصارى، إذ تعكس شخصيته وثقافته رفضه المطلق للانجرار وراء مثل هذه الأعمال الطائفية المقيتة، كما أن

موقفه من الأقليات كان واضحاً منذ فترة وجوده في الجزائر، حيث كان دائماً إلى جانبها يساندها ويقف في صفها، مؤكداً على مبادئ العدالة وحماية الضعفاء، وبناءً على هذا المبدأ، وعقب إخفاقه في إيقاف الفتنة في جبل لبنان، أصر على بذل كافة جهوده لحماية النصارى في دمشق (الحسيبي، 1968، ص 07). باحتواء العنف الطائفي والحفاظ على التعايش الاجتماعي في المدينة.

وفي مساء يوم 09 جويلية 1860م اجتمع الأمير عبد القادر بأحمد باشا والي دمشق وأعضاء مجلس شورى الولاية، وطلب منهم المساعدة على إطفاء شرارة الثورة، وقدم الأمير للحاضرين جملة من البراهين المؤسسة على آيات الشرع وأحكامه، مؤكداً أن من واجب الحاكم شرعاً مواجهة الثائرين والخارجين عن النظام العام ومقاتلتهم، ولو كانوا من المنتسبين إلى أهل الشريعة، إذا ما أخلوا بالأمن واعتدوا على الأنفس والممتلكات، وقد عزز هذا الطرح وأيده مفتي الولاية "ظاهر أفندي"، الأمر الذي أسهم في تثبيت هذا الرأي، وإضفاء المشروعية الدينية عليه، لينتهي المجتمعون على الاتفاق على ضرورة معاقبة الثائرين، ووضع حد لأعمال العنف حفاظاً على النظام وصوناً للأرواح والممتلكات، وقفل الأمير راجعاً إلى بيته يُعد رجاله إلى الغد، ولم يمض على رجوعه عن أحمد باشا لحظات حتى ألحقه برسول وعرض عليه عدوله عن مواجهة الثائرين وإرجاعهم للطاعة، وأنداك حول الأمير اهتمامه لتخليص من يقدر على خلاصه من العيال والرجال، ونتيجة لذلك فهم الأمير أن الدولة العثمانية ضالعة في الخطة، فوالي دمشق أحمد عزت ليس من الذين يرفضون طلباً للأمير وهو من مريدي الشيخ الفقيه الصوفي محمد المهدي السكلاوي اليراثي الزواوي (توفي بدمشق سنة 1861م)، لكن أحمد عزت كانت له أوامر بذلك، وقد حاولت السلطة العثمانية مسح السكين به، فأعدمته شنقا وهو صائم، فلقب عند أهل الشام بـ "الشهيد" وكان السكلاوي قد تنبأ له بهذه الشهادة، لقد أدرك الأمير أن تلك الفتنة ليست من صنع محلي، بل هي من نسج العواصم الأوروبية بما فيها الآستانة، وأما المحليين من دروز ونصارى ما كانوا سوى أدوات (الخالدي، 2016، ص، ص 99 - 100).

يذكر أن الأمير عبد القادر لما اتصل به خبر اشتعال الفتنة في دمشق يوم 10 جويلية 1860م وبداية الأحداث الدامية، وهو ما كان يخشاه ويحذر الناس منه، اتجه إلى محلة النصارى التي وجدها في هرج ومرج، وعندما شاهد ألسنة النيران تلتهم المنازل والغوغاء موزعين بين ناهب وقاتل، بادر إلى نهيهم ونصحهم سعياً إلى كبح جماح العنف واحتواء الأزمة، غير أن دعوته لم تلق استجابة، إذ استمر المهاجمون دون اكتراث، وتمادى الذعار في سلوكهم، وإزاء يأسه من انصياعهم ورجوعهم عن غيهم وضلالهم، تحول إلى العمل الميداني المباشر، فشرع في إنقاذ من استطاع الوصول إليه من النصارى وتأمينهم، ثم عاد برفقة عدد من قناصل الدول الأجنبية إضافة إلى جمع غفير من الأعيان وغيرهم من وجهاء المدينة، في محاولة لتعزيز الجهود الرامية لاحتواء الأزمة ووضع حد لأعمال العنف، ثم بدأ يبعث المغاربة شردمة تلو أخرى إلى المحلة وأطرافها ليأتوا بكل من وجدوه بدون استثناء، ولللاضطلاع بهذا الواجب احتاج الأمير إلى توفير السلاح لضمان حماية من لجأوا إليه، وأبلغ الباشا أن المغاربة المقيمين معه يفتقرون إلى السلاح اللازم لأداء هذه المهمة، وقد

وعده الباشا بتزويدهم بما يحتاجون إليه عند الضرورة لخطورة الوضع، وبأمر من الأمير هب المغاربة لجمع النصارى من الكنائس والأقبية وداخل البيوت الملتهبة بالنيران (بن عبد القادر، 1903، ص، ص 93 - 94)، كما التجأ الأمير إلى القنصلية الفرنسية بدمشق فحصل منها على السلاح اللازم لتسليح ألف جزائري النفوا حوله وكانوا تحت تصرفه (Emerit, 1952, p. 216)، فبثهم في مختلف أنحاء دمشق للبحث عن المسيحيين وحمايتهم، منتقلين من منزل إلى منزل منادين للمسيحيين أن لا يخشوا منهم، فهم رجال عبد القادر، وأنهم جاءوا لإنقاذكم، وهكذا خرج الرجال والنساء يرتجفون ويزحفون من مخابئهم، لقد كانوا مختبئين في الآبار وأحواض الغسيل ومجاري المياه، وعندما تم جمعهم هرع بهم جنود عبد القادر إلى بيته وساروا بهم في شكل تربيعات مستطيلة أعدها الجزائريون لحمايتهم من الإهانة والهجوم أثناء الطريق (تشرشل، 1974، ص 283)، ولما علم النصارى بصنيع الأمير كانوا يفرون إليه من تلقاء أنفسهم وقيمون في بيته حتى اكتظت، فأخذ البيوت المجاورة له وأخلاها وأقام فيها من لاذوا به، ومنهم قناصل الدول وغيرهم، وكان ينفق عليهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام وسواه، وكان ممن وقف إلى جانبه في هذا العمل الإنساني العالمان الشريفان محمود أفندي حمزة وأخوه أسعد أفندي، وفي ثالث يوم من المذبحة هجم الأكراد الثائرون على بيت الأمير بغية القبض على النصارى، فردهم الأمير ورجاله والشريفان بكل ما في وسعهم فعادوا خائبين، وكان والي دمشق قد وعد النصارى إذا سلموا ودخلوا القلعة أنهم سيكونون فيها آمنين من القتل، فاجتمع فيها نحو خمسة آلاف، وكأنه أراد بعد ذلك الغدر بهم عن طريق جماعة من الدروز كانوا قادمين للنهب، فخرج إليهم الأمير ورجاله وهددهم بالرصاص فخافوا وعادوا أدرجهم، واستمرت هذه الأحداث سبعة أيام لم يفتر فيها الأمير لحظة واحدة نصره للمظلومين وإنقاذهم من القتل، وتطبيب الجرحى وتعزية الثكالى والأرامل واليتامى (زيدان، 2012، ص 205).

كان الأمير عبد القادر يقضي أكثر الليالي ساهرا والبندقية في يده، وذلك لحرصه الشديد على من هم في حماه، فإن غلب عليه النعاس، أسند رأسه إلى فمها قليلا، وفي 15 جويلية جاء دمشق وال جديد وعزل القديم، وبعد وقت يسير جاء "فؤاد باشا" لتحري المسألة والقصاص من المعتدين (زيدان، 2012، ص 206)، وهكذا طويت صفحة تلك المذبحة المرعبة، بعدما تمكن الأمير ورفاقه من الجزائريين من إنقاذ عشرة آلاف شخص، وقد انتشر خبر هذا التدخل الشجاع سريعا في الغرب وأثار موجة واسعة من عبارات الامتنان والتقدير، وقد جاء في رسالة من الأمير إلى أسقف الجزائر أنطوان بافي Antoine Pavy (1846-1866م): "إن ما فعلته كان واجبا علي أن أفعله باسم الاسلام واحتراما لحقوق الإنسان" (Teissier, l'Emir Abdelkader, 2020, p, p. 75-76).

ومهما يكن من أمر فإن الأمير استطاع أن ينقذ عددا معتبرا من النصارى، لكنه في الوقت نفسه يكون قد أنقذ بلاد الشام من الاحتلال الأوروبي، فقد حركت جميع الدول الأوروبية أساطيلها البحرية لتربط أمام بيروت، أما فرنسا فقد أنزلت قواتها في لبنان يقودها الجنرال شارل بوفور دوتبول ( Charles Beaufort d'Heutpoul) الذي راسل الأمير يطلب منه مغادرة دمشق مع أهله لأنه مقدم على قصفها، فذهب إليه

مترجمنا وتوعده بأن الأمير عبد القادر الذي هزم 17 جنرالا فرنسيا سوف يحاربه إن تقدم نحو دمشق فترجع الجنرال، وفشلت خطة فرنسا، وفي ذلك يقول ابنه محمد أنه سار ليلا إلى منطقة البقاع، حيث اجتمع بالجنرال المسؤول، وبين له خطورة المسار الذي اعتمد عليه وسوء عاقبته على أمن البلاد واستقرارها، غير أن الجنرال تمسك بموقفه في بادئ الأمر، ما دفع الأمير لتشديد لهجته، وتحذيره من التداعيات المختلفة، ميرزا جسامة الموقف وخطورة عواقبه، وعاد كل منهما إلى مقره، وهو ما يبرز سعي الأمير لإنقاذ البلاد والعباد (الخالدي، 2016، ص 105) وتجنيب دمشق مزيدا من التصعيد.

### 3. الاعترافات الدولية بالمواقف الإنسانية للأمير عبد القادر

لقد ثمنت الدول المسيحية الأوروبية وبلاد الشام والعالم بصفة عامة جهود الأمير عبد القادر، في إنقاذ المسيحيين والرامية إلى ترسيخ القيم والمبادئ الإنسانية، وتهافتت بعض الشخصيات العالمية والدول في إرسال الهدايا والأوسمة ورسائل الشكر والعرفان، وأورد الكاردينال لافيغري وصفا دقيقا للقاء جمعه بالأمير عبد القادر في سبتمبر 1860م، قبيل مغادرته دمشق، التي اختارها مقرا لإقامته بعد حربه في الجزائر، وتنقله بين فرنسا وتركيا قبل استقراره بدمشق، وأشار إلى ما تحلى به من قوة شخصية وشجاعة استثنائية، مكنته من حماية آلاف المسيحيين الفارين نتيجة أعمال الحقد الديني، كما أثى على خصاله الإنسانية ونبل مواقفه، وأنه من الرجال القلائل الذين يمتلكون مثل تلك الروح للتضحية، وختم شهادته بالتأكيد على أنه قدم له الشكر باسم الكنيسة الكاثوليكية تقديرا لدوره في إنقاذ المسيحيين وصون أرواحهم خلال الأحداث (CUSAC, 1903, p. 18)

كما انهالت على مترجمنا كتب التكريم ورسائل الإشادة لفعله تقديرا لموقفه الإنساني الذي أحدث أصداء واسعة على الصعيد الدولي، فقد جسد تدخله لحماية نصارى الشام القيم ذاتها التي وجه بها نضاله، إذ أن السيف الذي أشهره في وجه الفرنسيين سبعة عشر عاما ظل في رمزيته سيف عدل وانصاف، استخدم هذه المرة لحماية أرواح الأبرياء، كما أن خطابه الذي صدح به في ساحات دمشق دفاعا عن المظلومين، لم يكن إلا امتدادا لمنظومته الفكرية العقدية القائمة على نصره الحق وإغاثة المستضعفين، ويكشف علمه الغزير وثقافته الواسعة عن وعي عميق بحقيقة الإسلام ومقاصده، حيث كان برهانا ساطعا أمام من أراد تشويه صورة الإسلام المتسامح، أما مكانته الدولية وعلاقاته المتشعبة فقد سخرها لخدمة قضيته الجوهرية العادلة المتمثلة في الدفاع عن الحرية الإنسانية وصون كرامة بني البشر، بصرف النظر عن انتماءاتهم العرقية أو الدينية. إن هذا العمل الذي قام به الأمير عبد القادر زاده رفعة وأعلى مكانته بين الناس بل لدى جمع الدول، ولنا أن نتوقف عند الاعترافات التي أقرتها بعض الدول:

### 1.3. الدولة العثمانية

أرسل السلطان العثماني بالنيشان المجيدي العالي القيمة إلى الأمير عبد القادر بفرمان عبر فيه عن تقديره البالغ لما تحلى به من حمية دينية راسخة وإخلاص ثابت للدولة العثمانية، مؤكدا أن غيرته وولاءه

الصادقين قد دفعاه إلى بذل أقصى الجهود في تخليص عدد كبير من رعايا الدولة العلية الذين وقعوا ضحية أعمال العنف التي شهدتها بلاد الشام مؤخرا على أيدي بعض الجاهلين لمقتضيات الأحكام الشرعية والمبادئ الإسلامية السامية، وأشار السلطان إلى أن المبادرة الحسنة التي قام بها الأمير قد حظيت بقبول واستحسان لدى البلاط العثماني، استوجبت مزيدا من العناية والتقدير، وبناء على ذلك قرر تكريمه علنا بمنحه نيشان المجيدية الهمايوني من الدرجة الأولى، وأصدر فرمانا سلطانيا خاصا يتضمن مظاهر التكريم الملكي (بن عبد القادر، 1903، ص 96)، كدلالة واضحة على اعتراف الدولة العلية رسميا بدوره في احتواء الفتنة وصون رعاياها.

### 2.3. فرنسا

تكشف المراسلات الرسمية الفرنسية عن حجم التقدير الذي حظي به الأمير عبد القادر في أعقاب أحداث القطر الشامي عام 1860م، فقد وجه وزير الخارجية الفرنسي إدوارد ثوفينيل (Édouard Thouvenel) رسالة إليه يعلمه أن الإمبراطور نابليون الثالث يشعر بارتياح بالغ وإعجاب عميق لما قام به من إجراءات لحماية المسيحيين والرعايا الأجانب أثناء الفتنة، ثم أوفد كبير المترجمين الفرنسيين مبعوثا من الإمبراطور، حيث سلم الأمير وسام جوقة الشرف "الليجون دنور" المرصع من الرتبة الأولى، في دلالة رسمية على الاعتراف الفرنسي بموقفه الإنساني. وجاء في رسالة وزير الخارجية الفرنسي أن أبناء الحوادث الشامية قد بلغت الدولة الفرنسية، وأن الإمبراطور أمر بإبلاغ الأمير باعتباره السامي وشكره الوافر على الجهود المضنية التي بذلها في حماية الأهالي المسيحيين والراهبات والمبعوثين الفرنسيين، وسائر القناصل. وأكدت الرسالة أن مساعيه جسدت همة عالية جعلته ملاذا لآلاف المستضعفين، في وقت ارتكبت فيه أعمال تنافي القيم الدينية والإنسانية، مشيرا أن الإمبراطور لم يستغرب ما أبداه من شجاعة وإقدام في تلك الظروف العصيبة، لما عرف عنه من سمو الخلق وعلو الهمة، وختم الوزير كتابه إلى الأمير راجيا قبول التهاني الشخصية منه (بن عبد القادر، 1903، ص، ص 98-99).

### 3.3. إنجلترا

عهدت الحكومة البريطانية إلى القنصل البريطاني في دمشق جيمس برانت (James Brant) إبلاغ الأمير عبد القادر شكرها وتقديرها وثنائها على موقفه النبيل في الحفاظ على حياة الآلاف من المسيحيين في طوشة 1860م (الشناوي، 2004، ص 297)، كما تلقى الأمير عبد القادر رسالة رسمية من القنصل البريطاني، أبلغه فيها أن الحكومة الإنجليزية قد كلفته بإيصال عبارات تقديرها العميق لما أبداه من مواقف إنسانية في إنقاذ عدد كبير من المسيحيين الذين كانوا عرضة للهلاك خلال أحداث دمشق، وأكدت الرسالة أن تدخله حال دون وقوع مزيد من الضحايا في المذبحة، وأن سلوكه كشف لجلالة حكومته علو مقامه ورفعة شأنه، كما عبر القنصل عن اعتزازه الشخصي بكونه وسيطا في نقل هذا التقدير الرسمي، مشيرا إلى أنه وقف بنفسه على الجهود التي بذلها الأمير لوأد الفتنة، وتخليص المضطهدين، الأمر الذي أثار إعجابه وتقديره.

وعقب ذلك وجهت الملكة فكتوريا (Victoria) هدية رمزية لمترجمنا تمثلت في بندقية تذكارية نقش على ظهر صندوقها أنها مقدمة من جلالة ملكة المملكة المتحدة بريطانيا العظمى إلى صاحب السمو الأمير عبد القادر تخليداً للمواقف النبيلة والأعمال الخيرية التي قدمها لأولئك المسيحيين في دمشق سنة 1860م (بن عبد القادر، 1903، ص، ص 100 - 101).

### 4.3. روسيا

نال الأمير عبد القادر من قيصر روسيا ألكسندر الثاني (Alexandre II) رتبة أعظم فارس المعروفة بـ "شارة النسر الأبيض" (سعيدوني، 2000، ص 176)، وتشير إحدى الرسائل الصادرة عن القيصر إلى إشادة رسمية بموقف الأمير عبد القادر خلال فتنة دمشق 1860م، فقد عبر عن تقديره وشهامته وما أبداه من التزام بقيم الإنسانية، ولا سيما اجتهاده في إنقاذ آلاف المسيحيين الذين كانوا عرضة لخطر محقق، وأعلن في هذا السياق منحه إحدى أرفع الرتب الإمبراطورية الملوكية المشهورة، وهي وسام النسر الأبيض، بوصفه تكريماً رسمياً يعكس الامتتان الإمبراطوري بموقفه الإنساني الفريد، كما أكد الكتاب استمرار مشاعر التقدير والاحترام من جانب البلاط الروسي تجاه الأمير (بوعزيز، 1384 - 1964، ص 70)، وفي هذا دلالة على أن مبادرته الإنسانية لم تقتصر أصداؤها على النطاقين العثماني والفرنسي، بل امتدت إلى روسيا القيصرية، مما عزز البعد الإنساني لشخصيته الأمير ودوره الرائد والفعال في تلك المرحلة الدقيقة من تاريخ الدولة العثمانية.

### خاتمة

بعد دراسة أحداث الفتنة الطائفية التي هزت دمشق في صائفة 1860م واستجلاء علاقة الأمير عبد القادر بها توصلنا إلى النتائج التالية:

أن الباحث الحقيقي للأمير على حمل تلك المشاق هو اعتزازه بعرويته وإسلامه، وتأييد الدولة العلية والدفاع عن حوزتها، حفاظاً على وحدة وتماسك الأمة الإسلامية في سياق تاريخي اكتفتها الأطماع الاستعمارية المتزايدة.

استطاع الأمير عبد القادر بحكمته وتسامحه الفكري والديني وأد الفتنة التي كانت ستلحق أضراراً بليغة بالدولة العثمانية، من خلال شيوع الاقتتال الطائفي بين مكوناتها الدينية خاصة ببلاد الشام.

قلب الأمير ظهر المجن لبي جلدته حينما سخر كل ما بيده من إمكانيات لنصرة المظلومين والمستضعفين، دون النظر إلى أي اعتبار ديني أو عرقي، بل كانت مواقفه وتصرفاته كلها تحت مظلة الإنسانية.

تكريس الأمير للبعد الإنساني الكوني في معاملاته مع الآخر جاء انطلاقاً من رصيده الأخلاقي المستمد من الفهم العميق والصحيح للشريعة الإسلامية.

الحنكة السياسية وبعد النظر الاستراتيجي للأمير عبد القادر وقدرته العالية على القيادة والتدخل الميداني، أبرز مرتكزات نجاحه في وأد طوشة دمشق.

استقطبت الأبعاد الدينية والقيم الإنسانية في فكر الأمير أنظار بل اعترافات المفكرين والقادة العسكريين والسياسيين ورجال الدين من كل أنحاء العالم، ما جعله يحظى باعتراف وتقدير دولي غير مسبوق لرجل حكيم بات رائدا لحوار الأديان وحقوق الإنسان بمفهومها الحديث.

## ببليوغرافيا

## باللغة العربية

### المؤلفات

- 01- أباضة نزار. (1414هـ- 1994م). الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد (الإصدار 01). دمشق، سوريا: دار الفكر.
- 02- ابكاربوس اسكندر بن يعقوب. (1987). نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان. بريطانيا: رياض الريس للكتاب والنشر.
- 03- إيتنين برونو. (1997). الأمير عبد القادر الجزائري. (ترجمة المهندس ميشيل خوري، المترجمون) بيروت، لبنان: دار عطية للنشر.
- 04- بوعزيز يحيى. (1384 - 1964). الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري (الإصدار 02). دار الكتاب الجزائري.
- 05- البيطار الشيخ عبد الرزاق. (1382هـ/ 1963). حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (المجلد 02). دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي.
- 06- تشرشل شارل هنري. (1974). حياة الامير عبد القادر. (ترجمه وقدم له وعلق عليه أبو القاسم سعد الله، المترجمون) تونس: الدار التونسية للنشر.
- 07- جورجى زيدان. (2012). تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر (المجلد 01). القاهرة، جمهورية مصر العربية: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- 08- الحسيني محمد أبو السعود. (1968). حادثة دمشق سنة 1860. (مجلة الأبحاث الجامعية الأمريكية، المحرر) (22).
- 09- الخالدي سهيل. (2016). الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام. برج الكيفان، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 10- دردار فتحي. (دون تاريخ). الامير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1832 - 1847. الجزائر: تصفيف وتصميم psisolutech.
- 11- رئاسة الوزراء المديرية العامة لدور المحفوظات. (2010). الجزائر في الوثائق العثمانية. أنقرة: رئاسة دائرة الارشيف العثماني.
- 12- سعيدوني ناصر الدين. (2000). عصر الامير عبد القادر الجزائري. الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- 13- السيد فؤاد صالح. (2007). الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا (الإصدار 01). الجزائر: وزارة الثقافة.
- 14- الشناوي عبد العزيز محمد. (2004). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها (المجلد 03). مكتبة الأنجلو المصرية.
- 15- طربين أحمد. (1966). أزمة الحكم في لبنان منذ سقوط الأسرة الشهابية حتى ابتداء عصر المتصرفية 1842م-1861م دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي (الإصدار 01). مطبوعات جامعة دمشق.
- 16- محمد بن عبد القادر. (1903). كتاب تحفة الزائر من مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر (المجلد 02). الإسكندرية: المطبعة التجارية.
- 17- محمد كرد علي. (1983). خطط الشام (الإصدار 03، المجلد 06). دمشق: مكتبة النوري.
- 18- مزهر يوسف. (دون تاريخ). تاريخ لبنان العام. بيروت.
- 19- هلال عمار. (1995). أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1962). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

### الأطروحات

- 01- طرشون نادية. (1985). الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام. كلية الآداب جامعة دمشق، سوريا.

02- الزعبي أمجد أحمد. (2016). الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري دراسة في فتنة دمشق 1860م. (جامعة فيلادلفيا- الأردن، المحرر) مجلة البحوث والدراسات الإنسانية(12)، 41-09.

### باللغة الأجنبية

- 01- AZAN. P (1925) .L'Emir Abdelkader(1807.1885) .Paris.
- 02- Bessaieh Boualem. Juin , (2003)Abdelkader à Damas Souvetage de douze mille chrétiens .Majalat Itinéraire.86 ،(06)
- 03- Commandant J.Pichon .(1899) .ABD EL KADER- Sa jeunesse,son role politique et religieux,son role militaire, sa captivité ,sa mort (1807- 1883) Paris: imprimrie librairie militaire.
- 04- CUSAC, P. J. (1903). Un géant de L'apostolat le cardinal la vigerie. 26 rue vavin Paris: Libraire Missionnaire.
- 05- Emerit Marcel .Avril - Juin, (1952) La Crise Syrienne et L'expansion économique Française en 1860 .Revue Historique.
- 06- Teissier Henri .(2020) .l'Emir Abdelkader(éd.01) Paris, institut du monde Arabe ،France: centre culture du livre.